عام، وبين العرب بشكل خاص؛ حيث بلغت نسبة المؤسسات التي تستخدم ٥٠ عاملاً فما فوق، سنة ١٩٢٨، حوالي ٤٪ فقط من مجموع المؤسسات حينذاك، أي حوالي ١٦ مؤسسة. أما المؤسسات التي تستخدم ١٠٠ عامل فما فوق، فقد بلغت نسبتها حوالي ٣٪ فقط، أي ما يعادل ١٢ مؤسسة لا غير[٣٢]. ويعني هذا أن هذه النسبة من التمركز لم تكن لتتيح إمكانيات حقيقية لتطور العمل النقابي وقدرته على طرح قضاياه الوطنية والطبقية، وعندما نعلم أن المنظمات النقابية الصهيونية كانت في ذلك الوقت جزءاً لا يتجزأ من السلطة الرسمية من حيث التحالف، وإن العمال العرب، بمنظماتهم النقابية وتجمعاتهم، كانوا خارج هذه السلطة، بل خارج هدفها وميدان ممارسة دورها ونفوذها، ندرك كم كان من الصعب على هذه التجمعات أن تتطور ذاتياً في الوقت الذي كانت فيه محكومة ومضطهدة موضوعياً من قوى ذات طابع استيطاني استعماري.

ضغط الواقع الاقتصادي والاجتماعي وأثره في تنمية التوجهات المطلبية والطبقية

تعد صادقة، بحكم الحقيقة العلمية، تلك المقولة التي تربط بين حجم العنف والاضطهاد اللذين يتعرض لهما العمال، وبين مستوى استعدادهم الثوري وتوجههم للانخراط في العمل النقابي والتكتل من أجل التخلص من هذا الواقع. ويتحقق الربط هذا عندما تتوافر العوامل المساعدة على تنفيذ ذلك، كوجود البؤرة الثورية داخل مجموعات العمال وتوفر القيادة الحقيقية القادرة على استثمار هذه الامكانات واستخدامها لتحقيق انتظام العمال في المنظمة النقابية وبلورة هذا الانتظام إلى مواقف عملية، سواء تم ذلك من خلال حركة الاضرابات أو من خلال عملية التكتل بحد ذاتها، لتحقيق النتيجة الحتمية، وهي بروز المنظمات النقابية العمالية وظهورها وتطورها إلى الامام. ولذلك، يمكن القول سلفاً أن الواقع الاقتصادي والاجتماعي الذي ساد أوساط الشعب العربي الفلسطيني، خلال فترة العشرينات، لعب دوراً كبيراً في دفع قطاعات هذا الشعب كافة إلى التململ والتحرك لتغيير هذا الواقع.

وليس أدل على تأثير هذا الواقع على العمال العرب وعلى زيادة وعيهم الطبقي، من رغبتهم في الاحتفال لأول مرة بعيد الأول من أيار (مايو) سنة ١٩٢٥[٣٣]، ويعتبر رفض سلطات الانتداب لذلك دليلاً أكيداً على خوفها من بداية هذا التوجه الطبقي لديهم. وحول هذا الموضوع كتب إيليا زكا صاحب مجلة حيفا الصادرة باللغة العربية في حيفا، مهاجماً موقف سلطات الانتداب، وذلك في العدد ١٢٥: «ان السلطة المسيطرة تثبت أنها والرأسماليين والاقطاعيين على وفاق مكين واتحاد متبين ضد قوى الشعب، جماهير العمال والفلاحين، سلالة من دكوا أركان الباستيل... ان السلطات وافقت في البداية على الاحتفال بأول أيار، ثم تراجعت؛ وهل من العدل والمساواة أن يجتمع الصهيونيون ويتلون الخطب في المسارح ويمنع العمال العرب من الاشتراك بهذا العيد مع عمال العالم لأول مرة في هذه البلاد»[٣٤].